مسرحيّة طوفان

نشرت لأوّل مرّة في مجلة «الحديث» تحت عنوان طوفان / أوبرا ذات فصل واحد 1934، ثمّ تصدّرت ديوان «شعر» 1936 في قسم أعطاه الشاعر مصطلح: «مسرح» تحت عنوان «طوفان» وقد أُضيفت ملحوظة في الفهرس آخر الديوان بجوار «طوفان»: «وحي أفلام سينمائيّة»، ووردت مقطوعة «سلوان» مستمدّة من هذه المسرحيّة في ديوان: «من عمر» مع عتبة: «من غنائيّة الطوفان»، وترجمها أبو ريشة ضمن مختاراته بالإنكليزيّة «roving along» مع عتبة تبيّن أنّها مستوحاة من فيلم سينمائي .

شخصيّات المسرحيّة

الشاب

الفتاة

الخمّار

الفقير

الخادم

لورا

التاجر

القسّيس

روّاد الحانة

طوفان

(حانة تحت الأرض، موائد خمر، سكارى، صاحب الحانة، خادم)

(يدخل شابٌّ متأنّق)

الشّاب : تلك الرؤى من باسماتِ شبابي
ما زلتُ ألمَسُها على أهدابي
أيامَ أُطلِقَ للفؤادِ عِنانُه
وأُنيخَ في ليلِ الضّلالِ ركابي
إنَّ الحياةَ جميلةٌ إنْ أهلُها
عرفوا مكانَ جمالها الخلاّبِ !
فاملأ ليَ الأكواب حتّى تلتظي
شفتاي فوقَ مراشفِ الأكوابِ

الخمّار : اشربْ على نَخْبِ الهوى وجنونِهِ
اشربْ

الشّاب : فألوانُ الحياةِ شرابي
المَعْصياتُ ركضتُ في تيّارها
وجعلتُ بؤرةَ خِزيِها مِحرابي

ولبستُ، حيث الحسنُ، بُرْدَ تهتّكي

وخلعتُ، حيثُ الحسنُ، طُهرَ نِقابي

« يشرب وهو يقهقه ثملا. تدخل فتاة »

الفتاة : زوجي !!

الشّاب : أتتْ؟ تبّاً لها

الفتاة : زوجي !

الشّاب : ابعدي أو تندمي !

الفتاة :

أكذا تجرّعني بهجرِكَ أكؤساً مِنْ عَلْقمِ ؟!

هلاّ رَثَيتَ للوعتي وتَفَجّعي وتألّمي ؟

الشّاب : لا تقربي منّي «يدفعها»

الفتاة :

بربِّكَ ما جنيتُ ؟ تكلَّمِ !

أتصدُّ عنّي بعدما شرفي تلطّخ بالدّمِ ؟

وبلغتَ ما تصبو إليه !

الشّاب : كفاكِ لا تَتَظلّمي !

لا تُتْهميني يا بغيٌّ بمثْلِ ذا لا تُتْهمي !

الفتاة : ربّاه عفوكَ !!

(يغمى عليها فيجلسونها على مقعد)

الخادم : سيّدي ارحمْ فتاتَكَ اِرْحمِ !

الشّاب : دَعْها فكيدُ الغانيا تِ لديّ ليس بمُبهمِ

(يدخل فقير مُسِنّ)

الفقير : هل مِنْ كريمٍ محسنٍ ؟

الخادم : اذهبْ ولا تتقدمِ !

(يلحق به فيهرب. تدخل لورا المومس)

الشّاب لورا...

الجميع : أتتْ لورا

(لورا مازحة) : قفوا

الجميع : غنّي لنا وترنّمي !

(يحملونها إلى البوفيه لورا تغنّي)

يا قلبُ حزنُكَ ما أشدَّه خَفَرَ الحبيبُ اليومَ ودَّهْ
ماذا عليكَ إذا تنا سيْتَ الهوى وطويْت عهدَهْ
أَمِنَ المودَّةِ أنْ تعيـ ـثَ بأضلعي أَمِنَ المودَّهْ ؟!
جاوزتَ حدَّ الحزنِ يا واهي القُوى جاوزْتَ حدَّهْ
لو كان حزنُكَ يستردُّ وفاءه لكَ لاستردَّهْ
قد طابَ بعدَك عيشُهُ فعلامَ عيشُكَ ساءَ بعدَهْ ؟
كم مَرتعٍ بتنا به واللّيلُ حاكَ عليه بُردَهْ
ولكم أذعتُ إليه وجدي في الهوى وأذاعَ وجدَهْ
وكم اتّكا فوقَ الزّهورِ ومدَّ لي باللّطفِ زَندَهْ
حتّى إذا طوّقته أدميتُ بالقبلاتِ خدَّهْ !

الجميع : تحيا لورا تحيا لورا

الشّاب : تعالَي واشربي قَدَحاً معي لورا

لورا : كما ترضَى

الشّاب : وأنتم يا أصيحابي !

الجميع : نشربُ نخبَها مَحْضا !

(يجلسون حول مائدة، والخادم وراءهم)

هذا نبيذٌ طيّبٌ   مرَّتْ عليه الأَعْصُرُ

الشّاب : كِذْبٌ لَعَمْري إنَّه بالأمس كان يُقطَّرُ

«يضحكون ويشربون»

لورا : مسكينةٌ هذي الفتاةُ   بما تَراها تفكّرُ ؟

«تشير إلى زوج الشّاب»

الشّاب (بهزل): ولهانةٌ ! وعشيقُها هذا المحبُّ الموسِرُ

«يُسمع صوت رعد»

لورا : اسمعْ !

الشّاب : رعودٌ في السّما بركانُها يتفجَّرُ !

أحدهم : اشربْ ولو مادتْ بنا الدّنيا وقامَ المَحشَر !

«دخل تاجرٌ مبلّل الثياب. يبدأ بخلع معطفه»

الخادم : أهلاً وسهلاً سيّدي

التاجر : هيئْ شراباً يا فتى

«يركض الخادم »

أفٍّ لهذا العيشِ كم   يَرمي بنا فوقَ الشَّقا

إنّ التّجارة أصبحتْ   عبءاً تنوء به القُوى

الخمّار :

إنَّ الحياةَ جميعَها أمستْ مفكّكةَ العُرا

«يناوله كأساً»

«يدخل تاجر آخر»

التاجر الأول (لنفسه):

هوَ ذاكَ خَصمي في تجا رتي الوحيدةِ قد أتى

الخادم : شرّفتنا يا سيّدي

«يناوله كأساً»

التاجر الثاني : شكراً فهذا المُرتَجَى !

« يشرب»

الأول :

شرّفتنا ... ثَكِلَتْكَ أمُّ لكَ من فتىً رَضِعَ الخنا

النذلُ ليس له إلى الشرفِ المُكَّرمِ منْتَمى !

الثاني : النذلُ أنتَ ..

الأول :

إذن ستعلمُ أيُّنا نذلاً يُرى

« يتلاكمان. الخادم يحول بينهما»

الخادم : نظارِ ! نظارِ !

الشّاب :

دَعِ السيّدين لنبصرَ أيُّ فتىً يُنْصَرُ

« **يضحكون** »

الخمّار :

مكانكما إنّ هذي اللّجا   جةَ غيرَ المصائبِ لا تُثْمِرُ

«صوت رعد»

للخادم

وأنتَ.. أتسمع كيف الرعودُ   غدتْ في فسيح الفضا تزأر

فَسِرْ أغلق البابَ مِن قبل أن   تسيل المياهُ

الخادم : كما تأمرُ

«يدخل الفقير، الخادم يسير لإغلاق الباب»

الفقير : أما مِن كريمٍ ؟

الخادم :

ألا ترعوي ؟   ألا تستكنُّ؛ ألا تُزجَر

« **يدفعه** »

«يدخل قسّيس معتوه، يدفع الفقير والخادم فيرميهما. الفقير يختبئ في زاوية»

الخادم : أأعمى **!!**

القسّيس : تأدَّب فإنّي امرؤٌ إلى مثلِ وجهكَ لا أنظرُ

«الخادم يخرج»

القسّيس (للجميع):

يا سُكارى في حَمْأة الخزيوالجهـ   ـلِ أما آنَ أنْ تتوبَ السُّكارى **؟!**

النبيّون والملائكُ ضجّوا   من أذاكم وأدبروا استنكارا

قد جعلتم هذي الحياةَ شروراً   وملأتم عرضَ السّما أوزارا

«صوت رعد شديد»

اسمعوا اللهَ وهو ينفخُ في البو   ق ويُجري من كفِّه أبحارا

«الجميع يلتفون حول القسّيس ويتغامزون»

الشّاب :

أفي الحاناتِ يا قسّيسُ تُلقي   دروساً كلُّ ما فيها فضولُ؟

القسّيس : إلهي إنّهم تاهوا وضلُّوا إلهي هل لهديهمُ سبيلُ ؟!

«صوت صاعقة وأمطار. يدخل الخادم»

الخادم : إلهي ! ...

الجميع : ما جرى ؟

القسّ (يتهكّم) :

فاضتْ عيونٌ   وسالتْ أنهرٌ وطغتْ سيولُ

الجميع :أحقٌّ ما يقولُ ؟

الخادم : أجلْ؛ لعَمْري أرى الصّدقَ المحقَّقَ ما يقولُ

القسّيس :

هو الطّوفانُ يغسل كلَّ رجسٍ   ويقضي تحتَه الشرُّ الوبيلُ

فبعدَ اليومِ ترتفعُ الخطايا   وتضحكُ من بني الدّنيا طلولُ

فلا قابيلُ عربيدٌ وقاحٌ   ولا هابيلُ مطروحٌ قتيلُ !!!

« رعد وعواصف »

الجميع : أليسَ إلى النّجاةِ لنا سبيلٌ

القسّ : وهل عَنْ إمرةِ المولى عُدولُ ؟

الجميع : أَنقضي مُكْرَهينَ ؟

أجلْ سنقضي   فَنَجمُ العيشِ أدركَهُ الأُفولُ!

القسّيس(للخادم): فَسِر وافتح لنا الأبوابَ

الجميع (بخوف) : صبراً فإن الصّبرَ في البلوى جميلُ

القسّيس :

أراكم كالمخبّطِ في ظلامٍ وليس له بِحَيْرتهِ دليلُ !

فَموتوا كالأسود !

الجميع : هل الخطايا تزولُ بموتنا أم لا تزولُ ؟!

أيغفرُ ربُّنا ؟

القسّيس :

توبوا إليهِ وإلاّ ذقتمو ناراً تَهولُ

تصكُّ لدى تأجّجها نيوبٌ وتهلعُ عند مرآها عقولُ!

أحدهم :

واحسرتاه أموتُ والآ مالُ تذهبُ في الأَثَرْ!

«يبكي»

الشّاب :

لهفي على الدّنيا وأيّا مٍ قضيتُ بها الوَطَرْ

آخر : طِفلي !

آخر : أخي !

آخر : أمّي !

آخر : أبي !

آخر : زوجي !

القسّيس : لقد وقع القَدَرْ !

خلّوا الدّموعَ فإنَّها مُلكُ الجبانِ إذا اندحَرْ

الله يَكْرِه كلَّ رِعدِ يدٍ يعيثُ به الخوَرْ!

«عواصف»

التاجر الأول :

الموتُ قد حَسَم النّزا عَ فهاتِ كفَّكَ يا رفيقي!

التاجر الثاني : صفحاً صديقي عن إسا ءاتٍ مضتْ صفحاً صديقي

«يتصافحان»

القسّيس : يا قومُ إنّا كلّنا إخوانُ صدق ووئامْ

الحقُّ جرَّدَ سيفَه يبري به هامَ الأنامْ

فَلنغسلِ الأحقادَ ولننسَ الضغينةَ والخِصامْ

الفتاة : ربّاه أين أنا ؟

«تفيق من إغمائـها»

الشّاب : انهضي زوجي؛ اصفحي عنّي؛ اصفحي

الفتاة :

دعني وشأني أيّها الخادعُ لا تَستسمحِ

الشّاب : عفواً مُنَى نفسي ..

الفتاة : ابتعدْ واسرحْ بِخزيكَ وامرحِ

القسّيس :

إنّ عهدَ الخصامِ يا عَفَّةَ البُر دِ تقضَّى وفاتَ عهدُ الندامَهْ

انهضي واسدُلي على الأمسِ ستراً

واسألي اللهَ رحمةً وسلامَهْ

كلُّنا اليومَ إخوةٌ !

الفتاة : أتراني في منامٍ به الرّؤى بَسّامَهْ ؟!

الفتاة (للشّاب) : أصحيحٌ ما قال ؟

الشّاب : عفوَكِ زوجي لا تزيدي هذا الفؤادَ سآمَهْ

الفتاة : أبغيٌّ تقولُ عنّي ؟!

الشّاب : صفحاً شاربُ الخمر لا يزينُ كلامَهْ !!

أنتِ في هيكلِ الوفاءِ مَلاكٌ أنتِ في رَوضةِ الولاءِ حمامَهْ

«يبكي»

الفتاة :

زوجي أراكَ مكلِّمي في لهجةٍ مُلِئتْ أَلَمْ

القسّيس :

السّاعةُ اقتربتْ وهـ ذا الكونُ أدركَهُ العَدَمْ!

«صوت رعد»

الأرضُ تفتحُ شِدْقَها والأفق يقذفُ بالحِمَمْ!

الجميع (بسكون):

الأرض تفتح شِدْقَها والأفق يقذفُ بالحِمَمْ!

الفتاة :

ربّاهُ فجرُ سَعادتي ما افترَّ إلاّ أنْ قَتَمْ

زوجي !..

الشّاب :

اصْبري فالمرءُ مَنْ لَمَسَ الشّدائدَ وابتسَمْ !

القسّيس :

هيّا نصلّي يا رفا قُ إلى إله العالمين

إنَّ الصلاةَ بها نُكَفّرُ عن ذنوبِ الخاطئينْ

وبها انشراحٌ للصدو ر وسَلوةٌ للقانطينْ

هيّا نصلّي خاشعين

الجميع : هيّا نصلّي خاشعين

«الجميع يقفون بخشوع»

القسّيس : يا سيّدَ الكونِ إن الجهلَ ضجَّ بنا

واشتدّ حبُّ المعاصي والأذى فينا

يا سيّدَ الكون إنّا في الظلام لقد

سِرنا ولم نحترمْ دنيا ولا دينا

يا سيّدَ الكونِ كم زلّت بنا قَدَمٌ

وكم طغت في مخازيها أمانينا

يا سيّدَ الكونِ كم سِرنا إلى صَنَمٍ

قد صاغه الطّمعُ الطّاغي مُصلِّينا

يا سيّدَ الكون صفحاً عن نقائصنا

يا سيّد الكونِ صفحاً عن مساوينا

يا سيّدَ الكونِ هَبنا منكَ مغفرةً

واقبلْ لنا توبةً

الجميع : آمينَ آمينا

لورا :

أيعفو اللهُ عن ذنبٍ عليَّ الدّهرُ قد جرَّهْ

وُلدتُ كما يشاءُ الطُّهرُ في مهدِ النُّهى حُرَّهْ

ولكنْ قد سقاني اليتمُ من كأسِ الملا مُرَّهْ

هيَ البشريّة الخرقاءُ كم داست على زهرَهْ !!!

القسّيس :

بُنيَّةُ شَيّعي الماضي ولا تتوجسي شرَّهْ

ولا تبكي على ثوبٍ أزال هواتهُ طهرَهْ

فكم من درّةٍ في الوحل تبقى دهرَها درَّهْ !!..

الخادم (لنفسه) :

ويلاه قد أزِفَ الفناءُ فلا مفرَّ من القَدرْ !..

فلأعترفْ بخطيئتي لأموتَ مرتاحَ الفِكَرْ

«يعطس الفقير»

الجميع : من ذلك الشّيخُ العجوزُ ؟

الفقير : حنانَكم

الخادم : هذا فقيرٌ بالشّقاء عريقُ

الفقير : رحماكَ ..

الخادم :

لا تخشَ الأذى فجميعُنا أهلٌ إليكَ وصاحبٌ وصديقُ

الفقير : الجوعُ أضناني !

الخادم : تصبَّرْ

«يذهب الخادم ليحضر طعاماً»

الفقير : إنّه عمرٌ سيمضي والحياةُ طريقُ !

«يأتي الخادم»

الخادم : كُلْ ما تُريدُ

الفقير :

إليكَ شكري كله   اليومَ درَّ على لساني ريقُ **!**

«يأكل بنهم»

الخمّار :

تعالوا نشرب الخمرا   على حبِّ الرّدى القادمْ

ونلقّى الموتَ في عزمٍ   بأعصابِ التُّقى قائمْ

«يلتفون حول البوفيه»

الخمّار للخادم :

لا تَسق من هذي الخمو   رِ أحبّتي يا غافلُ

هل أنتَ عمّا تحتوي   متجاهلٌ أم جاهلُ **!!!**

هل بعدَ هذا اليومِ تُنْصَبُ للأنام حبائلُ **؟!**

جِئْهم بما خبّأتُه

القسّيس : إنّ الزّمانَ لزائلُ !

الخمّار :

أيّها السادةُ اصفَحوا عن أثيمٍ   كان يبتزُّ منكمُ الأموالا

كم مزجتُ الخمورَ قِدْماً بماءٍ   وجعلتُ الحرامَ عندي حلالا

الجميع : قد صفحنا فلا تُبالِ

الخمّار : إليكمُ فاشربوا سادتي رحيقاً زلالا

«يشربون. القسّيس يحمل الكأس ويغني نشيد الموت»

يا مركباً حَيرانْ   في قبضةِ البحرِ

قد حوَّلَ الرُبّانْ   مجرَاكَ للبرِّ !

الجميع : يا مركباً حيران ...

القسّيس :

الركبُ قد هلّلْ   للراحةِ الكبرى

والمركبُ استرسل   في جَريه حُرّا

والشاطئُ الفتّانْ   أبدى مُحيّاهُ

قفْ أيُّها الرُّبانْ   في نورِ مَجْلاهُ !

ماذا ورا الشّاطي ؟   ماذا وراءَ النورْ ؟

هل دمعةُ الخاطي ؟   أم بسمةُ المَسرورْ ؟

أم عالمُ الأوهامْ !

«الخادم يبكي»

الخمّار : ما الذي يبكيك هل تخشى الرّدى ؟

الخادم : لا وربي إنما أخشى مصيري

أنت قد أحسنتَ لي لكنّني   لم أكن أهلاً لإحسانٍ وفيرِ

كنتُ لصّاً باعَ في شَهْواتِهِ   عزَّة النّفس وعلياءَ الضّميرِ

سيّدي عفوَكَ !

الخمّار :

لا تبكِ أخي   ماضياً فالعفو لله القديرِ

ليس لي عندَكَ ما أسأله إنْ دعانا الله في يومِ النّشورِ

«**يضع يده على كتفه بلطف**»

القسّيس (متوهماً): فَسدَ الهواءُ

أحدهم : أجل لقد فَسدَ الهواءُ

آخر : تصبّروا ..

آخر : عزمي وهَى !

القسّيس :

هيّا افتحوا   الأبوابَ لا تتأخّروا

سِيروا إلى الموتِ الرهيـ   ـبِ كما يسير القَسْورُ !

«**يذهب الخادم ليفتح الباب**»

أحدهم : رُحماكَ يا ربّاه !

آخر : يا ربّاه إنّكَ تغفرُ

القسّيس :

أُبْنا إليكَ وكلُّنا   بجميلِ حِلْمكَ نشعرُ !

«**تدفق المياه ثم تنقطع**»

الجميع (بذهول):

أُبْنا إليكَ وكلُّنا   بجميلِ حِلْمكَ نشعرُ !

« يظلون مطرقين قليلا ثم يلتفت بعضهم إلى بعض»

«يدخل الخادم راكضاً»

الخادم : سادتي ! سادتي رأيت أناساً تتمشّى على الرّصيفِ

الجميع بذهول : أَصِدْقٌ !؟!

أحدهم : آهِ !

آخر : ما أجمل الحياةَ

آخر : نجونا

القسّيس : بل رجعتم إلى الشّقاوة فاشقُوا

الشّاب : أين طوفانُكَ العظيمُ ؟

آخر : أتهذي

آخر : أنت يا قسُّ بالممات أحقُّ !

الشّاب :

يا فؤادي صَفّقْ فإنَّكَ حرٌّ   وتنعَّمْ ففي دمائكَ شوقُ

« القسّيس يستند إلى جدار»

«الجميع يهمُّون بالانصراف»

الخمّار :

سادتي سادتي! اذكروا ثمنَ الخمر   فإنّي كما علمتم فقيرُ !!!

الشّاب : أنا أعطيكَ ما تريدُ مِن الجمعِ

«يخرج دراهم من جيبه»

الخمار : وإنّي إلى نَداكَ شكورُ !

الشّابّ : خُذْ ... تعالَيْ يا منيةَ النّفس لورا

لورا : أين نمضي ؟

الشّابّ : لقد دعانا السُّرورُ !

«يخرج الشّابّ ولورا»

الفتاة (لنفسها) : «تجدّد حديثه الأول»

أبغيٌّ تقول عنّي ؟ . صفحاً شاربُ الخمرِ لا يزينُ كلامَهْ

أنتِ في هيكلِ الوفاء ملاكٌ أنت في رَوضةِ الولاءِ حمامَهْ!

«تخرج بقنوط.. ويتبعها التاجران فيصطدمان»

التاجر الأول : ابتعد أيُّها اللّئيمُ

التاجر الثاني : تراجعْ أيُّها النّذلُ

التاجر الأول : هاكَ يا مغرورُ

«يخرجان وهما يتلاكمان»

الخادم :

قُمْ أيُّها الشّيخُ العجوزُ ولا تطأ هذا المكانَ فما إليه طريقُ !

الفقير (بتهكّم) :

يا صاحِ لا تخشَ الأذى فجميعُنا أهلٌ إليكَ وصاحبٌ وصديقُ

«يخرج بألم»

الخمّار :

أيُّها الخادمُ. أُتْرك خدمتي أنت لصٌ كلَّ محظورٍ تبيحُ

الخادم : سيّدي عفوَكَ

الخمّار :

لا عفوَ ابتعد إنّ أفْق الرّزق

في الدنيا فسيحُ

«يخرج الخادم ببطء وحزن»

القسّيس (ثائراً) :

لا تنفع الشكوى فهذا الورى ضجَّ به البغيُّ فما يخجلُ

الأرضُ للطّوفانِ محتاجةٌ لعلّها من دَرنٍ تُغسَلُ

(السّتار)